رضى الله عنه إلى وفاته فى آخر خلافة معاوية ، وقد كثرت تلك الأحداث مما أدى إلى صعوبة تقصى سيرة الرجال ، وخاصة من النواحى السياسية ، وذلك لكثرة الروايات واختلافها تارة ، أو لقلتها وغموضها تارة أخرى ،

وخلاصة سيرة أبى هريرة فيها ، أنه لم يرض فى عهد عثمان أن تقوم الفتنة وتراق الدماء ، ويثور الناس على الخليفة الثالث من غير حجة ولا دليل ، فكان مع عثمان رضى الله عنه يوم الدار ، واعتزل ما دار بين أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأمير الشام معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وتولى أحياناً إمرة المدينة أيام معاوية ، إما أصالة أو خلافة لمروان بن الحكم أيام حجه .

* * *

أبو هريرة والجهاد فى سبيل الله :

كنت ذكرت أن أبا هريرة هاجر من اليمن إلى المدينة المنورة أيام غزوة خيبر ، وقد وصل إليها والرسول الكريم لا يزال فى خيبر ، فلحق به مع إخوانه اليمنيين المهاجرين ، وعلى رأسهم الطفيل بن عمرو ، فسر بهم الرسول ، وأسهم لهم ، وجعلهم فى ميمنته ، وجعل شعارهم « مبرور » (١) .

فكانت خيبر أول مشاهد أبى هريرة مع الرسول الكريم ، وإن كان قد وصلها بعد انتهاء القتال ، ثم شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم جميع غزواته بعد خيبر .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينتدبه أحياناً فى بعض بعوثه ، من هذا ما رواه الإمام أحمد بسنده عن سليمان بن يسار ، عن أبى هريرة قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعث ، فقال : إن وجدتم فلاناً وفلاناً — لرجلين من قريش — فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج : إنى أمرتكم أن

---

(١) انظر فى هذا الكتاب : « إسلامه وهجرته » .

تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله عز وجل ، فإن وجدتموهما فاقتلوهما » (١) .

وقد يرسله صلى الله عليه وسلم فى سرية ويودعه ، من هذا ما أخرجه ابن ماجه فى باب تشييع الغزاة ووداعهم ، بسنده عن أبى هريرة قال : « ودعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه » (٢) .

ولم يترك أبو هريرة الجهاد فى سبيل الله بعد وفاة الرسول الكريم ، وكيف يتركه ؟ وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل ، ثم أغزو فأُقتل » (٣) ، كما سمع قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم » (٤) .

فإذا ما دعت الحاجة إلى الجهاد ، رأينا أبا هريرة فى صفوف الجند يدافع فى سبيل الله ، وأول وقعة يحضرها أبو هريرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى حرب الردّة ، أخرج الإمام أحمد بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله تعالى » قال : فلما كانت الردّة قال عمر لأبى بكر : تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ؟ قال : فقال أبو بكر : والله لا أُفرّق بين الصلاة والزكاة ، ولأقاتلن من فرّق بينهما ، قال : فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً (٥) . والقائل هو أبو هريرة .

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٠٦ ج ١ . وإسناده صحيح .
(٢) سنن ابن ماجه ص ٩٤٣ حديث ٢٨٢٥ ج ٢ .
(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٤٠ ج ١٢ . واسناده صحيح .
(٤) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٠ ج ١٣ . وإسناده صحيح .
(٥) مسند الإمام أحمد ص ١٨١ ج ١ واسناده صحيح .

ويذكر لنا ابن عساكر أن أبا هريرة شهد وقعة اليرموك (١) .

وقد ذكر أبو القاسم السهمى — المتوفى سنة ٤٢٧ هـ — أبا هريرة رضى الله عنه فى عداد من دخل « جرجان » من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وقد فتحت « جرجان » فى عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه سنة (١٨ هـ) (٢) .

وذكر الرافعى فى « التدوين فى ذكر أخبار قزوين » أن سلمان الفارسى وَرَدَ كُسور قزوين مع أبى هريرة رضى الله عنهما عند منصرفهما من الباب ، وكان سلمان رضى الله عنه والياً بالمدائن . وتوفى بها فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وقيل فى خلافة علىّ رضى الله عنه سنة ست وثلاثين (٣) .

وروى الرافعى بسنده عن منصور بن عبد الحميد بن راشد — وكان قديم السن من أهل مرو — قال : رأيت أبا هريرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقزوين عليه عمامة بيضاء قد خضب بالصفرة ، وهذه الرواية تعتضد بروايات أخرى تؤكد على ورود أبى هريرة « قزوين » (٤) .

ونلمس حبه للجهاد فى سبيل الله . والاستشهاد تحت لواء الإسلام . فيما يرويه الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال : « وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة الهند . فإن استشهدت كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحررة » (٥) .

* * *

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٤٢٩ ج ٤٧ .

(٢) انظر تاريخ جرجان ص ٤ — ٦ .

(٣) انظر التدوين فيما ذكر أخبار قزوين ص ١٩ ج ١ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٢ ج١ مصور خزانة دار الكتب المصرية رقم (٧١٠٠ ح)

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٩٧ حديث ٧١٢٨ ج ١٢ . وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم فى المستدرك والنسائى . وفى رواية للإمام أحمد « رجعت وأنا أبو هريرة المحرر ، قد أعتقنى من النار » ، والمحرر أى المعتق ، وما من بأس من زيادة الهاء ، تكون للمبالغة ، كما فى « علامه » ونحوها انظر هامش ص ٩٨ ج ١٢ من مسند الإمام أحمد .

مرح أبو هريرة ومزاحه :

لم يكن أبو هريرة جافاً قاسى الفؤاد ، خشن الطباع ، سيء المعشر ، بل كان طيب النفس ، حسن الخلق ، صافى السريرة ، وربما كان الفقر والصبر عليه هما اللذان جعلا منه الإنسان المرح ، يسرِّى عن نفسه بمزاحه أحياناً همومها ومصابها ، ومع هذا فقد كان يعطى لكل شيء حقه ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، سواء أكان أميراً أم فرداً من الرعية فقيراً ، فقد نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها ، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء ، بل أظهرت تواضعه وحسن خلقه .

وربما استخلفه مروان على المدينة ، فيركب حماراً ، قد شد عليه برذعة ، وفى رأسه خلبة من ليف ، يسير فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق .. قد جاء الأمير (١) .

ويمر أبو هريرة فى السوق ، يحمل الحطب على ظهره — وهو يؤمئذ أمير لمروان — فيقول لثعلبة بن أبى مالك القرظى : أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك ، فيقول : يرحمك الله .. يكفى هذا !! فيقول أبو هريرة : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه (٢) ! ! .

نعم الأمير أنت يا أبا هريرة ، وليخلد الإسلام الذى سوى بين أميره وفقيره ، حتى أن أحد أفراد الرعية ، ينازع الأمير طريقه ، ويلزمه بما يكفيه ليمر والحطب على ظهره ، فهل بعد هذا عدالة وتواضع ؟ وهل وراء ذلك صفاء سريرة وطيب نفس ! ! ؟

وكأنى أرى أبا هريرة — وقد فهم نفسية الأطفال ، وعرف أن من

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤ : ٦٠/٢ ، ٦١ ، وقبول الأخبار ٥٩ ، ٦٠ . إلا أنه يوردها طعناً عليه ، والخلبة : الحلقة .

(٢) حلقة الأولياء : ٣٨٥/١ ، وتاريخ الإسلام : ٣٣٤/٢ و ٣٣٩ ، والبداية والنهاية : ١١٣/٨ ، ١١٤ .